

الوحدة العربية والميثاق



محمد عطا



اخترنا للطالب

الأستاذ الدكتور
عبد العزيز برهام
رئيس قسم اللغة العربية
بالأسبوع
الإسكندرية

الوحدة العربية والميثاق

بقلم محمد عطا

– ١ –

الجمهورية العربية المتحدة

تعتبر الجمهورية العربية المتحدة أكبر دولة عربية من حيث الطاقة البشرية فعدد سكانها يبلغ نحو سبعة وعشرين مليونا ، ومن حيث الدخل القومى الذى وصل إلى نحو ١٤٠٠ مليون جنيه ، ومن حيث الميزانية التى بلغت عام ١٩٦٢ — ١٩٦٣ م ١٠١٢٦٢١٥٥٠ جنيه دون شركات القطاع العام ومن حيث إمكانياتها على الدفاع والكفاح ، ومن حيث تقدمها العلمى والفنى ، ومن حيث مقدرة أجهزتها الاعلامية والثقافية ، ومن حيث ثروتها الزراعية والصناعية والتعدينية ، ومن حيث سمعتها العالمية فهى صانعة الحضارات ، وهى أول مجتمع بشرى متحضر هذا إلى أهمية موقعها الجغرافى والاستراتيجى ، وإيمانها العميق بقوميتها العربية وبخاصة فى هذه الفترة التاريخية الحاسمة .

هذه الميزات الفائقة هى التى أرهبت إسرائيل ، وجعلتها تعيش فى قلق وعدم استقرار ، وحالت بينها وبين تحقيق أطماعها التى تتمثل فى أن يكون لها دولة تمتد من النيل إلى الفرات إذ أنها تعلم علم اليقين أن الجمهورية العربية المتحدة لن تتوانى فى الهجوم عليها بعنف وقوة إذا ما سولت لها نفسها العدوان على أى شبر من أية أرض عربية .

وهى الميزات التى دفعت الجمهورية العربية المتحدة إلى أن تعتبر نفسها مسئولة مسئولية مباشرة كما يقول الميثاق « فى صنع التقدم وفى تدعيمه وحمايته ، وأن هذه المسئولية ، تمتد لتشمل الأمة العربية كلها » .

على أن تقدم الأمة العربية أساس فى هذه المرحلة التى تقتضى منا استغلال جميع طاقاتنا وإمكانياتنا حتى نثبت للعالم أننا لسنا أمة متخلفة ، وأننا لسنا خطرا على البشرية عالة على العالم ، وحتى نمحو من أذهان الرأى العام العالمى ما بثته فيه تخرصات وأكاذيب الصهيونية العالمية والاستعمارية من أننا ما زلنا نعيش عيشة بدائية وأننا مازلنا نفكر بعقلية العصور الوسطى ، وأننا قوم معوقون للتقدم البشرى .

هذا إلى أن تقدمنا فى هذه المرحلة سيؤدى إلى أن نبنى جهودنا وننطلق بأقصى طاقاتنا وأن نصبح طاقة بشرية فعالة يمكنها الدفاع عن حقوقها والنهوض بمسئولياتها .

- ٢ -

أسس الوحدة العربية

والوحدة العربية قد وجدت صداها فى قلب كل عربى مخلص واع ، وأصبحت هدفا من أهداف القومية العربية ؛ فالأمة العربية كما يقول الميثاق « لم تعد فى حاجة إلى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها . لقد تجاوزت الوحدة هذه المرحلة ، وأصبحت حقيقة الوجود العربى ذاته » .

فالوحدة العربية قد استكملت عناصرها ، وتهيأ لها من العوامل مالم يتهيأ لأية وحدة أخرى فهى تقوم أولا وقبل كل شىء على الوحدة الثقافية التى تقوم على وحدة اللغة وعلى وحدة الفكر وعلى وحدة الفن بل على وحدة العادات والتقاليد والسلوك .

وهى تقوم ثانيا على وحدة التاريخ ؛ وحدة النضال العربى بل الوحدة السياسية والاقتصادية والدفاعية ؛ كانت كذلك فى عهد الخلفاء ، وفى عصرى الدولتين الأموية والعباسية ، وتعرضت للمحن فى أيام العثمانيين وفى عصر الاستعمار الأوربى . وهى قد دافعت عن نفسها لصد التتار ، ودفع الصليبيين ثم التقت جيوشها أخيراً على ثرى فلسطين ، وسال الدم العربى دفاعا عن هذه الأرض العربية ؛ وفى كل بلد عربى يتذاكر الأبناء تاريخهم البطولى والنضالى ؛ هذا التاريخ الذى يشكل حجر الزاوية فى بناء وجدانهم

إن صح هذا التعبير والعرب فى كل مكان لا يمكنهم أن يتخلوا عن هذه الذكريات ولا أن يتحللوا من هذه الأحداث التي هى جزء لا يتجزأ من ضميرهم الحى .

وهى تقوم ثالثا على وحدة الأمل وعلى الالتقاء على غاية موحدة ؛ هذه الغاية هى « الوحدة » ولن تجد أى عربى يمارى فى هذه الغاية أو لا يؤمن إيمانا عميقا بالوحدة ؛ الوحدة هى أمل العرب وهى مبتغاهم وهى طريقهم إلى العزة والمنعة ، ومستقبل الأمة العربية متوقف على هذه الوحدة ؛ ومصير الأمة العربية مرتبط بعضه ببعض والكيان العربى كل لا يتجزأ فإذا اقتطع منه جانب تأثرت جميع الجوانب ، واهتزت الأرض العربية كلها ؛ ويؤكد ذلك الواقع الحى فى فلسطين المحتلة ؛ ومن أجل أولئك كله لم يعد « الميثاق » الحقيقة حين قال :

« يكفى أن الأمة العربية تملك وحدة اللغة التى تصنع وحدة الفكر والعقل .

ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة التاريخ التى تصنع وحدة الضمير والوجدان .

ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة الأمل التى تصنع وحدة المستقبل والمصير » .

- ٣ -

الصراع داخل الوطن العربى

وإذا كانت الوحدة هى الهدف الأسمى لكل الشعوب العربية ؛ فما بال هذه الوحدة لم تتم حتى الآن ؟ لقد أثار ذلك الوضع دهشة الكاتب الإنجليزى أرنولد توينبى فى محاضرته التى ألقاها فى مصر بعنوان « لماذا تأخرت وحدة العرب ؟ » فقال ما نصه : « ومن المدهش حقاً أن إعادة الوحدة هذه لم تحدث حتى اليوم » .

ولكن هذه الدهشة ستزول حتما عندما نرى أن الوطن العربى تقسمه دول صنع الاستعمار حدودها صنعا ، وهذه الحدود المصطنعة إنما كانت لأمور منها ؛ تقسيم مناطق البترول بين الدول الاستعمارية الكبرى ، ومنها إيجاد عروش لمن أخلصوا للاستعمار فى أثناء الحرب العالمية الأولى ، ومنها تقطيع أوصال العالم العربى وتمزيقه حتى يظل ضعيفا ، واهناً لا يقوى على دفع العدوان أو التخلص من الاستعمار . ومن الطبيعى أن طبقة الملوك أو الطبقة الحاكمة التى تفيد من سلطانها ومن أموال المستعمرين يهمها أولا وقبل كل شىء أن تبقى على هذا السلطان ، وأن تحرص الحرص كله على هذه الأموال حتى تعيش فى أبهة وبذخ ورفاهية وبقاء سلطانها وأموالها متوقف على الاستعمار الذى يحمى لها هذا السلطان ، ويغدق عليها

الأموال فهي ترتبط به وإن يكن ذلك على حساب شعوبها أو مستقبل الأمة العربية .

ولا شك أن مثل هذا الوضع يقتضي صراعاً بين هذه الطبقة وبين غالبية الشعب .

هذه الغالبية التي ترى قصوراً تقام ، وحرمات تنتهك ، وأموالا تنفق على المباذل والمساخر والترف والأبهة ، وانفصالا بينهم وبين حكامهم ، وترى دولا عربية أخرى غيرت من وضعها الاجتماعي الرأسمالي المستغل ، وأطاحت بالعروش النخرة ، وأخذت تقيم المشروعات التي تعود على الشعب بالخير ، بل بحياة أفضل ، ومستقبل آمن مطمئن ، وترى العالم في ثورة اجتماعية حيث يؤصل للديمقراطية الحقة ، التي تنهض بالشعب وتعمل لخيره ، وتؤمن بحقوقه .

هذه الرؤية الكاشفة القريبة والبعيدة ملكت على الشعوب العربية وجدانها ، وحدت بها إلى أن تحاول التخلص من وضعها المتخلف ، وأن تعمل على هدم الرجعية وتقويض دعائمها ، وعلى هذا الأساس قامت ثورة تموز (يوليو) سنة ١٩٥٨ في العراق حيث أطاحت بالملكية والرجعية وإن انحرفت عن الخط العربي الأصيل وهو العمل للوحدة ، وهو الأساس الذي قامت عليه ثورة اليمن التي أطاحت بحكم الأمراء ، وأنهت عهد الاستبداد والاستغلال .

على أن بعضهم يزعم أن الوحدة لن تتم لأن هناك خلافاً عنيفاً بين الحكومات العربية ، ولكن هذا الخلاف لا يلبث أن يزول بعد أن يتحرر كل شعب عربي من سيطرة الرجعية التي ربطت عجلتها بعجلة الاستعمار ، فمن كان يظن أن حكم عبد الإله ونورى السعيد سينقضى ويختفى إلى الأبد ؟ ومن كان يحلم بأن حكم آل حميد الدين سينتهى إلى غير رجعة ؟

إن عجلة التاريخ لن تمضى إلى الوراء ، وإن الشعوب لابد أن تنتصر ، والخلاف المزعوم إنما هو خلاف ظاهرى يخفى فى طياته حقيقة الثورة الاجتماعية التى شملت الوطن العربى بأسره وإلى هذا يشير الميثاق بقوله :

« إن الذين يحاولون طعن فكرة الوحدة العربية من أساسها مستدلين بقيام خلافات بين الحكومات العربية ينظرون إلى الأمور نظرة سطحية .

إن مجرد وجود هذه الخلافات هو فى حد ذاته دليل على قيام الوحدة .

إن هذه الخلافات تنبع من الصراع الاجتماعى فى الواقع العربى.. واللقاء بين القوى التقدمية الشعبية فى كل مكان من العالم العربى ، والتجمع الذى تقوم به العناصر الرجعية والانتهازية فى العالم العربى هو الدليل على وحدة التيارات الاجتماعية التى تهب على الأمة

العربية ، وتحرك خطواتها وتنسقها عبر الحدود المصطنعة .

إن التقاء القوى التقدمية الشعبية على الأمل الواحد فى كل مكان من الأرض العربية ، وتجمع القوى الرجعية على المصالح المتحدة فى كل مكان من الأرض العربية هو فى حد ذاته دليل على الوحدة أكثر مما هو دليل على التفرقة » .

نعم إن الصراع القائم داخل الوطن العربى إنما هو صراع بين القوى الشعبية التقدمية وبين الرجعية المستغلة ، صراع بين الشعوب المتطلعة إلى أن تحكم نفسها بنفسها وبين الفئة القليلة الإقطاعية الانتهازية ، وهو صراع عنيف حاد . وقد كان عنفه وحدته لا من حيث الكثرة والقلة بل من حيث استعانة القلة بالدول الاستعمارية التى تساندها لأنها تحقق لها أطماعها فى حقول البترول وفى ثروات الشعوب وفى السماح لها بإقامة قواعد عسكرية ، وهى فى يدها السلطان والنفوذ والمال والسلاح فهى تجند أجنادها من الوصوليين وضعاف القلوب ، ومن غطى الجهل عقولهم وأفئدتهم لتضرب الحركات التحررية وتشرد ثوار المناضلين ، وتعذب ذوى المبادىء والأهداف القويمة ؛ وإلى ذلك أشار أرنولد توينبى فى المحاضرة التى نوهنا بها سابقا وإن لم يفصح قال : « ورغم هذا هنالك عناصر فى عدد من الدول العربية قوية بما فيه الكفاية لتضع عقبات فى طريق الوحدة ، وطريق الحصول عليها » .

- ٤ -

الرجعية والاستعمار

ولكن لم تحاول الرجعية والاستعمار الحيلولة دون الوحدة؟ لقد حدث أن قامت وحدة بين مصر وسورية بإرادة شعبيهما ثم تجمعت الرجعية والاستعمار وفى أذيالها الصهيونية لضرب هذه الوحدة وفصم عراها . لم حدث ذلك؟

حدث ذلك لأن الاستعمار يهمه ألا تكون وحدة بين الدول العربية على الإطلاق وهو مصر على موقفه منذ أن وضع قدمه فى هذه الدول بل قبل أن يضع قدمه فيها وكان يتنمر للانقضاض عليها . لقد فعل ذلك حين توحدت مصر وسورية فى عهد محمد على فأجبر على أن تتخلى عن هذه الوحدة وأن تعود إلى الانفصال وعدم تجاوز حدودها وفعله بعد أن أعطى العهود والمواثيق فى أثناء حربه العالمية الأولى بالاستقلال تحت حكم موحد ثم شاء أن يمزق ما كان متصلا ، وأن يقطع ما كان مترابطا ، وشاءه حين أعطى وعد بلفور ، وحين مكن لإسرائيل فى فلسطين العربية ، وفعله قبل ذلك حين استفتوا الشام فأفتى بالوحدة ، وحدة سورية ولبنان وفلسطين وما يسمى الآن شرق الأردن . وذلك حين قدمت اللجنة الأمريكية لتتعرف على مطالب الشاميين عقب الحرب العالمية الأولى ، ولكنه ضرب برأى الشعب عرض الحائط وأقدم على

تمزيق الشام هذا التمزيق المثير ، ولا شك أن الاستعمار حين يفعل ذلك إنما يحافظ على كيانه ، ويبقى على نفوذه .

أما الرجعية فلها شأن آخر هو أنها تعمل على أن يظل حكمها قائماً وإن يكن على أجساد الشعب العربى . وقد وجد الاستعمار أقوى معين حين لم يعد فى استطاعته أن يحافظ على سلطانه بالقوة المسلحة فلجأ إلى قصور الرجعية يحتمى فيها ويدبر المؤامرات ويؤلبها ويثيرها ، ويمدها بالمال والسلاح كما صنع فى سورية حين الوحدة ، لقد جند دعايته وإذاعته وصحفه ومخابراته لفصم هذه الوحدة ، ولم يجد ما يؤيده ويشد من أزره غير الرجعية . فما أن صدرت قوانين يوليو سنة ١٩٦١ التى تقلم أظفار الإقطاع وتعطى للشعب حقه المغتصب ، وتمكن للعدل أن يأخذ طريقه ، وأن يضع يده على وسائل الإنتاج الكبرى حتى وجد الفرصة سانحة له وإذا هو يرسم الخطط ، ويدبر المؤامرات للرجعيين ويتسلل إلى قصورهم التى هى المرتع الخصيب له حتى كانت النهاية التى نعرفها ، وحتى كان الانفصال .

ولا شك أن الصهيونية كانت هى أيضاً من وراء ذلك كله ؛ فالصهيونيون يرون مصلحتهم الكبرى فى إيجاد الفرقة فى الوطن العربى إذ أنهم يؤمنون كل الإيمان أن بقاءهم فى المنطقة متوقف على هذه الفرقة ، وأن طردهم منها متوقف أيضاً على عزل كل بلد عربى

عن الآخر . ومن هنا كانت تصريحات المسئولين فى إسرائيل بأن أى تغيير فى وضع البلاد العربية كالأردن والحجاز وسورية إنما يعتبر تهديداً مباشراً لها وهى من أجل ذلك ستحارب لإبقاء هذا الوضع على ماهو عليه .

وقد صور الميثاق هذه الحقيقة تصوراً صائباً حين قال : « إن الاستعمار الآن غير مكانه ولم يعد قادراً على مواجهة الشعوب مباشرة ، وكان مخبؤه الطبيعى بحكم الظروف داخل قصور الرجعية .

إن الاستعمار نفسه دون أن يدرى ساهم فى تقريب يوم الثورة الاجتماعية ، وذلك حين توارى بمطامعه وراء العناصر المستغلة يوجهها ويحركها » .

إن الوحدة بين مصر وسورية كانت حركة شعبية فى الصميم ، أما الانفصال فقد كان حركة رجعية . وإذا كانت الرجعية قد استعانت بالوصوليين والعسكريين الذين لا يمثلون إلا أنفسهم فإن مصيرها الهزيمة الماحقة ، وعودة الأمور الطبيعية إلى ما كانت عليه فلا شك كما يقول الميثاق : « إن وحدة الأمة قد وصلت فى صلابتها إلى حد أنها أصبحت تتحمل مرحلة الثورة الاجتماعية .

ولا يمكن أن تدل أساليب الانقلاب العسكرى ، ولا أساليب الانتهازية الفردية ، ولا أساليب الرجعية المتحكمة على شىء إلا على دلالتها بأن النظام القديم فى العالم العربى يعانى جنون اليأس ، وأنه

يفقد أعصابه تدريجياً ، وهو يسمع من بعيد فى قصوره المعزولة وقع أقدام الجماهير الزاحفة إلى أهدافها » .

لقد كان الانفصال درساً كشف الأساليب الاستعمارية والرجعية تعلم منه النضال الشعبي العربى ، وآمن بأن عليه فى هذه المرحلة أن يواجه الاثنين معاً ، يواجه الرجعية فيعمل على تقليم أظفارها ، وعلى المطالبة بالحد من نفوذها وسيطرتها وتملكها لوسائل الإنتاج ويواجه الاستعمار بكشف خططه ومؤامراته والحيلولة دونه ودون التحالف مع الرجعيين فى كل بلد عربى .

وهذه المواجهة لن تكون إلا ثورية وبدون هذه الثورية لن يقضى على هذين العدوين اللدودين للتقدم وللتحرر ومضى الثورة الاجتماعية فى طريقها المرسوم ؛ وهذه المواجهة أيضاً تحتاج إلى معرفة تاريخ الأمة العربية ومواقف الاستعمار والصهيونية منها ؛ فنى هذا التاريخ عظات وعبر . وقد أتينا على بعض هذا التاريخ فيما ذكرناه من قبل ، وتحتاج كذلك إلى الحذر والتعقل والحكمة وإلى أن يعرف النضال الشعبي أين يضع قدمه ، وكيف يدبر وكيف يمضى فى طريقه فى أناة وصبر ويقظة ؛ وقد بين هذه الحقيقة الميثاق فى قوله :

« وليس من شك فى أن الثورات الأصيلة تستفيد من حركات خصومها فى مواجهتها ، وتكتسب منها قوة دافعة .

إن الاستعمار كشف نفسه ، وكذلك فعلت الرجعية بتهالكها على التعاون معه ، وأصبح محتما على الشعوب ضربهما معاً ، وهزيمتهما معاً ، تأكيداً لانتصار الثورة السياسية فى بقية أجزاء الوطن العربى ، وتدعيمها لحق الإنسان العربى فى حياة اجتماعية أفضل لم يعد قادراً على صنعها بغير الطريق الثورى .

والعمل العربى فى هذه المرحلة يحتاج إلى كل خبرة الأمة العربية مع تاريخها الطويل المجيد ، ويحتاج إلى حكمتها العميقة بقدر حاجته إلى ثوريتها ، وإرادتها على التغيير الحاسم » .

- ٥ -

الوحدة لا تفرض

والوحدة لا تكون بالغزو والفتح ، وإنما تكون بالاختيار المحض ، اختيار الشعوب العربية ، فإذا اجتمعت مشيئة شعبين أو أكثر على الوحدة باركتها الشعوب العربية الأخرى ؛ وعلى هذا فإننا نعتبر محاولة العراق ضم الكويت بالقوة محاولة غير طبيعية بل شاذة ولن تؤدى الهدف المنشود من الوحدة وهو أن تتم بمشيئة الشعوب لا بالقسر والقوة ؛ وعلى هذا أيضاً نعتبر وحدة مصر وسورية عام ١٩٥٨ وحدة طبيعية لأنها تمت بإرادة الشعبين التقاء إرادتيهما .

والعكس صحيح فإننا نعتبر فصم الوحدة عن طريق القوة أو الانقلابات العسكرية أو الالتجاء إلى الرجعية أو الاستعمار عملا عدائياً للهدف الأسمى للقومية العربية وهو « الوحدة » وإنى أعتقد أن الذى يفرض الوحدة هو تطور الشعوب العربية وتحررها فلن يتوانى شعب عربى حر عن السعى إلى الوحدة العربية فنحن نعلم أن الشعوب المتنورة ، الواسعة الأفق تحاول فى هذا العصر أن تتكتل وأن تتوحد فى الاقتصاد أو السياسة ، ومثالنا على ذلك السوق الأوربية المشتركة حيث وجدت الدول الغربية ألا مناص لها من أن تتوحد اقتصادياً تواجه الأخطار المحدقة بها وبخاصة من

الشرق الأوربي ، والوحدة الاقتصادية الدعامة الركينة للوحدة السياسية فى المستقبل .

وقد قامت السوق الأوربية المشتركة نتيجة الخطر المحدق بالدول الأعضاء ، وقامت بمحض اختيار هذه الدول لا بالضغط عليها أو تجميعها بالقوة المسلحة كما حدث ذلك فى عصر الفتوحات والحروب التى شنها نابليون أو شنها غيره من القواد العسكريين .

وكان الميثاق بعيد النظر حين دل على هذه الحقيقة فقال :

« إن الوحدة لا يمكن بل ولا ينبغى أن تكون فرضاً ؛ فإن الأهداف العظيمة للأمم يجب أن تتكافأ أساليبها شرفا مع غاياتها .

ومن ثم فإن القسر بأى وسيلة من الوسائل عمل مضاد للوحدة .

إنه ليس عملا أخلاقياً فحسب ، وإنما هو خطر على الوحدة الوطنية داخل كل شعب من الشعوب العربية ، ومن ثم فهو خطر على وحدة الأمة العربية فى تطورها الشامل . »

إن فرض الوحدة بالقوة فيه إزهاق لأرواح نحن فى حاجة إليها لدفع مؤامرات الاستعمار والصهيونية ، وفرض الوحدة يؤدى إلى حزازات بين النفوس ونحن نعمل على صفاء القلوب ، وفرض الوحدة فيه إلهاء لنا عن الشاغل الأكبر الذى يشغلنا ؛ الصهيونية والاستعمار .

وعلى هذا فالعالم العربى يرحب بقيام أية حكومة وطنية فى أى بلد عربى كما يرحب الآن بقيام الجمهورية العربية اليمنية ، والأمة العربية ترحب بأية وحدة تتم بين شعبين عربيين كما يذهب الميثاق فيقول :

« إن أية حكومة وطنية فى العالم العربى تمثل إرادة شعبها ونضاله فى إطار من الاستقلال الوطنى هى خطوة نحو الوحدة من حيث أنها ترفع كل سبب للتناقض بينها وبين الآمال النهائية فى الوحدة.

إن أية وحدة جزئية فى العالم العربى تمثل إرادة شعبين أو أكثر من شعوب الأمة العربية هى خطوة وحدوية متقدمة ، تقرب من يوم الوحدة الشاملة ، وتمهد لها ، وتمد جذورها فى أعماق الأرض العربية .

إن مثل هذه الظروف تمهد الطريق للدعوة إلى الوحدة الشاملة . »

- ٦ -

صورة الوحدة العربية

أما الوحدة فهل تكون وحدة كاملة أو تكون إتحاداً فيدرالياً ؟.

لا شك أن الوحدة إذا كانت كاملة يسرى على البلدين المتحدين قوانين واحدة وتعملان بدستور واحد وتحت ظل حكومة واحدة فهذا مثلنا الأعلى إذ أننا فى ذلك الوقت سننسى شعوبيتنا أو محليتنا ونرتقى إلى الوضع العظيم ، إلى وضع أننا « أمة عربية » وأننا بلد واحد نعمل لهدف واحد ، وندافع عن كيان واحد .

أما إذا كنا سنعمد إلى شكل « الإتحاد الفيدرالى » وإن كان هذا الشكل فيه بعض الغموض فى تعريفات فقهاء الدساتير فلا بأس من ذلك وأمامنا مثال الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن نهتدى به كما يذهب أرنولد توينبى فيقول : « إننا نجد أن العالم الحديث قد جرب كثيراً من العقبات ؛ عقبات الوقوف فى وجه الإتحادات الإقليمية ، وقام بتجارب كثيرة للتغلب على هذه العقبات .

وإن عمل الرواد نحو الوحدة الإقليمية أعطى لنا مثلا من الآباء الذين كونوا الوحدة الأمريكية ؛ إذ أنهم بعد تحقيق استقلالهم ، وضعوا الدستور الفيدرالى الحالى للولايات المتحدة

الأمريكية ، وتغلبوا به على عقبات الولايات الشمالية ، وهى ذات العقبات التى تقف فى وجه الوحدة العربية اليوم[1]

إن الصورة الدستورية للوحدة لا تهم قدر الاهتمام بالغايات الكبرى ، وهى أن هناك أمة عربية موحدة الغايات والمقاصد والأهداف ، أمة موحدة فى شئون الدفاع والاقتصاد والسياسة ، أمة لا يخرج فيها الجزء على الكل ولدينا مثال آخر فالاتحاد السوفيتى قد جعل من أكرانيا وروسيا البيضاء دولا ذات سيادة مستقلة ومع ذلك فلن يستطيع أحد أن يذهب أن هذه الدول خارجة على الكيان السياسى للاتحاد السوفيتى[2].

على أننا يجب ان نفهم أن مثل هذه الدول على الرغم من استقلالها الظاهرى ، واستقلالها من حيث الوضع الدولى إلا أنها فى نظامها الداخلى تتبع نظام الاتحاد السوفيتى .

وقد فطن الميثاق إلى هذه الحقيقة فقال :

« وليست الوحدة العربية صورة دستورية واحدة لا مناص من تطبيقها ؛ لكن الوحدة العربية طريق طويل قد تتعدد عليه الأشكال والمراحل وصولا إلى الهدف الأخير » .

وأعتقد أنه ينبغى على أساتذة الحقوق المتخصصين فى القانون

---

(١) محاضرات أرنولد توينبي ص ٩٧ نشر مجموعة « كتب ثقافية »

(٢) بحوث فى القومية العربية لعبد الرحمن البزاز ص ٥٥ .

الدستورى ، وفى القانون الدولى أن يعكفوا على وضع الشكل الذى تقوم عليه الوحدة العربية فى المستقبل وأن تلتزم بهذا الشكل الشعوب العربية ؛ فالوحدة آتية لا ريب فيها ، ولسنا نحن العرب الذين نقول بذلك بل إن منصفى الغرب يذهبون أيضاً هذا المذهب كأرسكين تشايلدرز إذ يقول : « بالرغم من كل العقبات يحتمل أن تنمو الحركة الرامية إلى مزيد من الوحدة ، إلى أن يشهد العالم يوما اتحاداً عربياً قويا متعارونا يشمل المنطقة العربية كلها »[1]

وأكثر منه تفاؤلا أرنولد توينبى حين يقول : « إنكم تجدون فى نجاح الوحدة الأمريكية مصدر أمل وتشجيع للعالم العربى كله اليوم ، وسريعا أوفيما بعد — وإن كنت آمل أن يتحقق ذلك سريعا لا فيما بعد — سيتحد العالم العربى بالتأكيد طالما أن الشعب العربى عنده الرغبة الصادقة فى الإتحاد ، ومهما تدخلت أية قوة خارجية فإنها لا تمنع هذا الإتحاد إذا كانت لديه الرغبة الصادقة ، وإذا اتحد العرب فإن مستقبلهم سيكون رائعا ؛ لأن الإتحاد قوة بكل تأكيد »[2]

---

(١) حول العالم العربى ص ٢٠٦ نشر مجموعة « أخترنا لك » .
(٢) محاضرات أرنولد توينبى ص ٩٨ .

- ٧ -

الجمهورية العربية المتحدة والوحدة

والجمهورية العربية المتحدة تؤمن إيماناً عميقاً بالوحدة فهى لم تتخل عن فلسطين فى محنتها عام ١٩٤٨ م وبعثت بجيشها ومتطوعيها للدفاع عن هذه الأرض العربية الحبيبة وحماية أهلها من أخطار الاستعمار والصهيونية ، وقامت بتضحيات غالية فى هذه السبيل ، ودافعت عن حق فلسطين فى الإستقلال فى المؤتمرات الدولية ، وفى المناسبات المختلفة . أعلنت إيمانها بهذا الحق فى الأمم المتحدة ، وفى مؤتمر باندونج وفى مؤتمر بريونى ، وفى كل المؤتمرات التى عقدتها أوشاركت فيها ،

وهى لاتنى عن إبراز حق الشعب الفلسطينى فى العودة إلى أرضه السليبة . ودعم كيان فلسطين ، وتدريب جيش فلسطينى ليستطيع أن يسترد وطنه ، وأن يقاتل فى أرضه هذه العصابات الصهيونية التى أقامها الاستعمار وحماها ومد لها كل معونة .

والجمهورية العربية المتحدة قد نصت فى صلب دستورها الصادر فى ١٩٥٦ على أنها جزء من الأمة العربية .

والجمهورية العربية المتحدة لم تتوان عن تحقيق الوحدة وتطبيقها تطبيقا عمليا حين أراد شعب سورية هذه الوحدة ، وعلى

الرغم من كثير من العقبات التى رآها بثاقب فكره الرئيس جمال عبد الناصر إذا كانت الوحدة فإنه قد قبلها ، وضحى كثيراً بوقته وجهده لدعم هذه الوحدة والتغلب على هذه العقبات ، ومن أبرزها التغلب على الخلافات الناشبة حول القيادات والرياسات.

والجمهورية العربية المتحدة إيمانا منها بأن الوحدة ينبغى أن تقوم على إرادة الشعوب وأنها لاتكون قسراً ، وعلى الرغم من الانقلاب العسكرى الذى حدث وأنه لايعبر عن مشيئة الشعب السورى ! فإن الجمهورية العربية المتحدة لم تشأ أن تقابل العنف بالعنف وأن تهدر دماء عربية زكية ، وأن تثير نوعا من الحرب الأهلية ، وتركت الأمر للشعب السورى نفسه ليصحح الوضع ، ويعيد الأمور إلى مجراها الطبيعى وإلى ما كانت عايه من قبل إيمانا منها بأن الوحدة آتية لاريب فيها .

والجمهورية العربية المتحدة قد حمت ثورة العراق من تدبير الاستعمار السىء ، ولم تتخل عن الحكومة الثورية بل أمدتها بالسلاح وعلنت أن أى اعتداء على العراق إنما هو اعتداء على الجمهورية العربية المتحدة .

والجمهورية العربية المتحدة قد ناصرت ثورة الجزائر منذ عام ١٩٥٤ وقد أكد هذه الحقيقة رئيس حكومتها الزعيم بن بيلا ، ناصرتها بالسلاح ، وناصرتها بالمال وكان لسانها المعبر عنها فى

الأمم المتحدة وفى المؤتمرات الدولية واعترفت بحكومتها المؤقتة وجعلت القاهرة مقراً لها .

ولم تحفل بتهديد فرنسا ووعيدها إذا ظلت الجمهورية العربية المتحدة على مناصرة الثوار الأحرار ، ولم تكترث بتحالف فرنسا مع إسرائيل ، ولم تأبه بتحالف فرنسا وإنجلترا وإسرائيل فى عدوانهم المسلح السافر عام ١٩٥٦ بل إنها ضاعفت من هذه المؤازرة التى رأتها واجباً محتوما عليها ، وظلت إلى جانب شقيقتها الجزائر حتى نالت استقلالها .

وقد رأت الجمهورية العربية المتحدة أن استقلال الجزائر ينبغى أن يحمى فأهدت إليها الطيارات والأسلحة ، وأقرضتها أخيراً عشرة ملايين جنيه بدون أية فائدة وعلى أن يدفع القسط الأول منها بعد عامين حين سمعت نداء رئيس حكومتها إلى الدول العربية لمديد المساعدة إلى الجزائر التى تضمد الآن جراحها وتلم شملها وتقيم كيانها ، وأمدتها بالفنيين من المدرسين وغيرهم حتى تحقق الجزائر أهدافها وتقف على قدميها وتطور مجتمعها ، وتحمى استقلالها .

والجمهورية العربية المتحدة قد لبت نداء حكومة الجمهورية العربية اليمنية فأمدتها بالمعونة المخلصة غير المشروطة ، ووقفت إلى جانبها ، وعقدت معها دفاعا مشتركا ، وما زالت تعينها على تثبيت

دعائم استقلالها ، ودفع المؤامرات عنها ، مؤامرات الرجعيين والاستعماريين .

فعلت كل أولئك الجمهورية العربية المتحدة ، بل فعلت أكثر منه إيمانا منها بالوحدة الشاملة كما نص الميثاق الذى أصدرته أخيراً ليكون هاديا لها ورائداً فقال :

« وإذا كانت الجمهورية العربية المتحدة ترى فى رسالتها العمل من أجل الوحدة الشاملة ، فإن الوصول إلى هذا الهدف ليساعد عليه وضوح الوسائل التى لابد من تحديدها تحديداً قاطعاً وملزما فى هذه المرحلة من النضال العربى »

- ٨ -

الطريق إلى الوحدة

إن الطريق إلى الوحدة قد بدأت الآن تتكشف معالمه ؛ فأغلب الدول العربية قد أخذت تقضى على الإقطاع والرجعية ، وتقطع فى هذه السبيل خطوات لاشك فيها ، أى أنها أخذت تتقدم وتنهض وتحاول أن تلحق بالركب الحضارى . وليس من ريب فإن الدولة الاشتراكية فى الجمهورية العربية المتحدة قد كان لها الأثر العميق فى هذا التغير والتطور ، وأنها كانت الرائدة فى هذه الطريق .

هذا إلى أن الصيحات العالمية نحو النهوض بالشعوب كان لها أثرها أيضاً فى نشر المذاهب الديمقراطية الاشتراكية ، وفى العمل من أجل رفاهية الشعوب ، وحياتها حياة أفضل وقد دوت هذه الصيحات بفضل المخترعات والكشوف الحديثة ، وتقدم وسائل المواصلات ، وقوة الأجهزة الثقافية ، وارتباط العالم ارتباطاً وثيقاً .

لقد أصبحت الشعوب لها أثرها الفعال ، وأصبح صوتها يعلو كل صوت وتحاول الرجعية إسكات هذا الصوت بتقديم بعض المسكنات ، ولكنها تخدع نفسها إذ أن المسكنات لم تعد تستطيع مقاومة تيارات الإصلاح الجارفة ؛ فكل شعب من

الشعوب يقف الآن عن طريق الإذاعة أو الصحافة على مكاسب الشعوب الأخرى ، ويتعرف على حقوقه فهو يطالب بالمزيد من الإصلاح بل مزيد من التطوير .

ومع كل أولئك فإن الشعوب العربية مازال أغلبها يعانى من القيود الغليظة التى يرسف فيها ؛ يعانى من الفقر الضارى ، يعانى من المرض الناشىء ، يعانى من الجهل المخيم ، يعانى من الظلم الجارف ، يعانى من الظلام الحالك .

لقد ظل سنوات طويلة تحت سيطرة الاستعمار ؛ السيطرة الفعلية أو السيطرة بطريق غير مباشر ؛ الاستعمار الذى خنق اقتصادياته ، وقتل مواهبه ، واستغل كنوزه وخيراته .

الاستعمار الذى حال بينه وبين المعرفة أو التعلم .

الاستعمار الذى ترك المرض يمرح فى جنباته ، بأن هيأ له التربة الخصبة ، فالأجسام الضاوية لاتستطيع مقاومة ، والدواء الذى يقضى على الداء لايجد المريض الثمن الذى يدفعه فى شرائه والطبيب المعالج قليل نادر أو باهظ الأجر .

إن خطة الاستعمار كانت خطة مدمرة ، خطة قضاء على روح الشعوب العربية ، خطة إفناء لها . خطة أن تظل فى فقر وعوز وخوف وحاجة . خطة أن تظل هذه الشعوب مستضعفة ، غير واثقة بنفسها . خطة أن تظل مسودة مغلوبة على أمرها .

ولم يكن الاستعمار وحده فى هذه المنطقة وإنما كانت هناك الرجعية ، الرجعية المؤمنة بخنق الشعوب وتدمير حياتها حتى تحيا هى وترفل فى الحرير ، وتعيش عيشة ناعمة مترفة فهى تملك الأرض وتملكها لمن تشاء ، وهى تعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، وهى فى يدها السلطة وفى يدها القوة ، وهى التى تخنق كل حركة تحررية أو صوت ينادى بالعدالة والمساواة .

الرجعية التى لا تعترف بحق الشعوب فى العيش ، وإنما تنتهب الثروات المعدنية والثروات الزراعية وتنفقها فى مباذلها وفى مناعمها من غير حاسب يحاسب أو ميزانية تدبر وتذاع فى الناس .

والاستعمار والرجعية تحالفتا على هذا الشرق العربى حتى أضعفاه ، ومصا دمه وحاولا خنق روح الحياة فيه .

والاستعمار والرجعية لم تقتصرا على أن يسود الفقر فى هذا الوطن العربى الكبير بل التجئا إلى خلق المنازعات وافتعال الخلافات ، وتأليب الأمر بعضها على بعض وإثارة الأقليات ، ونفث سموم الأحتماد بين الطوائف والمذاهب والديانات ؛ هذا بالإضافة إلى إقامة العروش الواهية والحدود المصطنعة ، وضرب العروش بعضها ببعض .

كل هذه رواسب قد خلفها الاستعمار وشجعتها الرجعية ، وباركتها الصهيونية . ولكن هذه الرواسب بدأت تذوب وتنهار ،

وبدأت الشعوب تتيقظ وتصحو إلا أن الوضع مازال يتطلب مزيداً من الحرص واليقظة، مزيداً من الثورة حتى ينكشف فى طريق الوحدة كل التكشف.

وإلى كل هذا أشار الميثاق فى تركيز فقال:

«إن استعجال مراحل التطور نحو الوحدة يترك من خلفه، — كما أثبتت التجارب — ، فجوات اقتصادية واجتماعية تستغلها العناصر المعادية للوحدة كى تطعنها من الخلف.

إن تطور العمل الوحدوى نحو هدفه النهائى الشامل يجب أن تصحبه بكل وسيلة جهود عملية لملء الفجوات الاقتصادية والاجتماعية الناجمة من اختلاف مراحل التطور بين شعوب الأمة العربية. هذا الاختلاف الذى فرضته قوى العزل الرجعية والاستعمارية».

نعم إن استعجال هذا التطور فى الوحدة بين مصر وسورية، وفى الاتحاد بين الجمهورية العربية المتحدة وبين اليمن لم يؤد إلى استقرار الوحدة. فالرجعية فى سورية والرجعية فى اليمن قد كانتا على حالها من القوة ومن أجل ذلك كان الانفصال وكان انهيار الاتحاد.

إن هذين البلدين لم يحتملا قوة الدفع الثورى التى بدت فى

قوانين ٢٣ يوليو عام ١٩٦١ هذه القوانين التى دعمت القطاع العام وجعلت أغلب وسائل الإنتاج فى أيدى الشعب لمصلحة الشعب وإمكان رفع مستواه .

وعدم احتمالها إنما مرده إلى قوة الرجعية فيها ، واشتداد سواعدها فما السبيل إذن إلى فتح الطريق أمام الوحدة ؟ .

- ٩ -

التعبئة الفكرية

إن التعبئة الفكرية التى نقصدها هى التعبئة التقدمية التى تهيئ الأذهان ، وتفتح الأبصار وتوقظ المشاعر وتلهبها . وقد شاهد العصر الحديث حركات فكرية تهدف إلى رفع مستوى الشعوب ، و لى حق العامل فى حياة حرة كريمة وإلى المساواة : بين الأفراد .

وإلى القضاء على الاستغلال فى كل صوره ، وإلى حق كل فرد فى أن يؤمن على مستقبله وألا يعيش فريسة القلق وعدم الاستقرار وألا يكون نهبا للمخاوف وتراقص الأشباح فن أين يأكل حين يتبطل أو حين يعجز أو حين يمرض أو حين يهرم ؟ وكيف يقاوم الاستبداد والظلم ؟ وكيف يستمتع بالحياة ؟ وكيف يقضى فراغه ؟ وكيف يحمى حقوقه ؟ وما الواجبات التى يلتزم بها نحو إخوته ووطنه ؟ الحركات الفكرية التى تحل مشكلات الاقتصاد وبخاصة فى الدول النامية ، الحركات الفكرية التى تخطط للمجتمع الحر المتماسك الحى ، الحركات الفكرية التى توصل للحرية والعدالة وتمكن لسيادة السلام والتعاون بين البشر لخير البشر ورفاهيتهم .

هذه الحركات الفكرية أخذت تنتشر فى قطاعات كبرى من المجتمع العالمى بل تطبق فى هذه القطاعات وليس من ريب فى أن مجتمعنا العربى بحاجة ملحة إلى نشر هذه الآراء المتحررة حتى تؤمن

بها الأمة العربية بأسرها ؛ والإيمان مرحلة أولى من مراحل الدفع الثورى التقدمى فلا بد أن يؤمن كل فرد فى هذه الأمة العربية بهذه المبادىء القويمة ، وأن يتعرفها على وجهها الصحيح ، وأن يفهمها الفهم السليم الواعى ، وأن تقدم إليه بطريقة علمية أو أدبية أو فنية بالأسلوب الذى يؤثر فيه ويحمله على الإيمان القويم .

ويحتاج ذلك أيضاً إلى تفنيد دعاوى المغرضين من الرجعيين وأعوانهم والاستعماريين وأذنابهم ، هذه الدعاوى التى تتمسح فى الدين حينا والدين منها براء ، والتى تقوم على التضليل والتلاعب بالألفاظ ، وبأقوال زائفة مختلقة على صحابة الرسول عليه السلام أو على تابعيهم مع أن شريعة العدل هى شريعة الله فى أى كتاب سماوى بل فى أية دعوة إصلاحية .

ويحتاج كذلك إلى تقديم نماذج من الشخصيات التى ضحت بأرواحها وأعراض الحياة فى سبيل مبادئها القويمة ، والدفاع عن حريات إخوانهم ؛ الشخصيات البطولية الفذة التى ضربت أروع الأمثلة فى سبيل تقدم البشرية والسمو بالنفس الإنسانية .

وتقوم بنشر المؤلفات القيمة أو تلخيصها أو تقديم أفكارها ؛ المؤلفات التى تدعو إلى الاشتراكية والديمقراطية ؛ المؤلفات التى تعالج تثبيت حقوق الجمهرة الشعبية ، وتجعل للشعب السلطة العليا ، وتستعرض المظالم التى أحدثها الاستعمار والاستبداد والاستغلال

بل إن الأمر يتعدى ذلك إلى استخدام كل الأجهزة الثقافية والاعلامية فى التوعية بهذه المبادىء التقدمية ، يكون ذلك فى صوت حديث أو عن طريق السينما أو عن طريق الإذاعة والتليفزيون أو عن طريق الصحافة أو عن طريق المسرحيات .

إن هذه الأجهزة ينبغى أن تخوض معركة الحرية ، معركة الاشتراكية ، معركة الحياة الكريمة ، معركة بناء مجتمع أفضل ، معركة الديمقراطية السليمة ، معركة العدالة الاجتماعية ، وأن تردد شعاراتها ، وأن تجند لها الأقلام وتحشد الجهود .

وإنى أعتقد أن الفن والحرية متلازمان ، وأن الفن الأصيل هو الذى يحيا فى ظل الحرية والديمقراطية وأن خير ما قدم إلى البشرية من فن إنما كان فى عصر الحريات المفتوحة ، العصر الذى لم يعرف التعصب أو الكبت أو الجبروت .

وأعتقد أيضاً أن الفن الحقيقى هو الفن الذى يزدهر بالشعب ، ويقدم إلى الشعب أما الفن الزائف فهو فن الصالونات ، الفن المتحذلق ، الفن المصنوع .

إن الفن قرين الطبع لا قرين الصنعة والافتعال ، والفن والصدق توأمان .

فعلى الكتاب إذن ألا يهابوا خوض هذه المعارك التى يمكن فيها للحرية ورفاهية المجتمع .

وما أحوج المجتمع العربى فى حاضره إلى أن يبنى بناء جديدا وأعنى بالبناء البناء الفكرى فقد عاش هذا المجتمع زمنا طويلا أسير أفكار رجعية قد علاها الصدأ وسرت فيها البرودة ، أفكار تنتسب إلى عصور سوالف ، بل هى ترتد إلى العصور الوسطى ، أفكار جامدة هامدة لم تعد تساير العصر المتطور المتحرك .

ولا شك أن الأفكار لها أثر فى السلوك وفى المواقف وفى الأوضاع فإذا كنت بعقلية العصر الذى كان يردد أن الامبراطور أو السلطان أو الملك هو ظل الله فى أرضه لا يمكن أن تسيغ أن السلطة ينبغى أن تكون فى يد الشعب ، وأن الشعب هو السلطة العليا ، وأن الدخل ينبغى أن ينفق لخير المجموع والمرء الذى يؤمن بالتعصب والأنانية لا يمكن أن يرجو الخير للبشرية ، أو أن يعتنق مبادىء السلام أو يسلك سلوك المتسامح .

وفى هذا يقول الميثاق : « إن جهودا عظيمة وواعية يجب أن تتجه أيضا إلى فتح الطريق أمام التيارات الفكرية الجديدة حتى تستطيع أن تحدث أثرها فى محاولات التمزيق ، وتتغلب على بقايا التشتيت الفكرى الذى أحدثه ضغط ظروف القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، وما تركته دسائسها ومناوراتها من رواسب تحجب الرؤية الصافية فى بعض الظروف .

ومن الأفكار التي ينبغي أن تنشر هي ضرورة الوحدة العربية الضرورة التي يحتمها العصر الذي يسعى إلى التجمع ، الضرورة التي تحتمها حماية الوطن العربي من تربص الصهيونية والاستعمار . الضرورة التي توجب حشد القوى العربية ، وتجميع طاقاتها ليمكنها الانطلاق السريع ، والتقدم العظيم ، الضرورة التي تقضي بتنسيق اقتصاديات البلاد العربية ، واستغلالها استغلالا سليما ، واستثمارها لخير الأمة العربية بأسرها .

فالوحدة تقضي على التنافس الذي يضر باقتصاديات الوطن العربي ، ويفصل هذا في وعي العلامة أرنولد توينبي فيقول : « طالما ظلت التفرقة بين الدول العربية قائمة فإن مطار القاهرة سيظل ينافس بيروت ، ومطار بغداد ينافس الكويت والبحرين »[1]

وقد أخذ هذا الكاتب المنصف يعدد المزايا التي تعود على الوطن العربي من وحدته الاقتصادية وهي مزايا مثيرة ، لست أدري كيف يجهلها المواطن العربي ويردد الدعايات الاستعمارية التي تهون من شأن الوحدة الاقتصادية !

إنه يرى أن الوحدة الاقتصادية إنما هي لخير العرب ، فهناك مساحات من الأرض الخصبة في سورية مثلا لا تستغل لقلة

---

(١) محاضرات أرنولد توينبي ص ٩٦ .

الأيدى العاملة ، وكذلك الشأن فى ليبيا فى الجبل الأخضر ، والوحدة الاقتصادية تؤدى إلى تطوير الصناعة وازدهارها . والوحدة الاقتصادية يمكن أن تفيد من استثمارات البترول فى استغلال الأراضى الزراعية على نطاق واسع ، وإقامة المصانع حتى يمكن فى المستقبل عندما ينضب معين البترول أو يتخلى عن مكانه لقوة أخرى قد تكون الذرة ألا تنهار اقتصاديات هذه الدول التى تعتمد الآن اعتمادا كليا على البترول .

إن الدعوة إلى الوحدة العربية واجب الدول العربية الأول ولا يفت فى عزمها الأخطار المحدقة بها أو الانفصالية التى أحدثتها الرجعية فى سورية بل إنما حدث ينبغى أن يكون حافزا للمضى فى طريق الدعوة إلى الوحدة بأقصى قوة وحرارة وحماسة ، وأن تحاول كل دولة عربية متحررة بجهد المستميت التمكين لهذه الدعوة وإيصالها إلى كل وطن عربى يحرص حكامه على التمسك بالشعوبية أو الاقليمية الضيقة فمسئوليتنا خطيرة أمام الأجيال القادمة ؛ وفى أيدينا تقديم الأجل الذى تتم فيه الوحدة العربية الشاملة .

والجمهورية العربية المتحدة رأت أن تلتزم بذلك فى الميثاق الذى أصدرته فأعلنته فى وضوح وصراحة فقالت : « والجمهورية العربية المتحدة وهى تؤمن بأنها جزء من الأمة العربية لا بد لها أن تنقل دعوتها والمبادىء التى تتضمنها لتكون تحت تصرف كل

مواطن عربى ، ولا ينبغى الوقوف لحظة أمام الحجة البالية القديمة التى قد تعتبر ذلك تدخلا منها فى شئون غيرها .

وفى هذا المجال فإن الجمهورية العربية المتحدة لا بد لها أن تحرص على الا تصبح طرفا فى المنازعات الحزبية المحلية فى أى بلد عربى ؛ إن ذلك أمر يضع دعوة الوحدة ومبادئها فى أقل من مكانها الصحيح »

— ١٠ —

الاتحاد الاشتراكى العربى

ظل الفرد فى الدول العربية حتى القرن العشرين غير متفاعل مع مجتمعه أو قائم بدور أساسى فيه ؛ فالحكومات أو الطبقات الحاكمة هى التى تسيطر ، وهى التى تصدر الأوامر وهى التى تقود ، أما بقية الأمة فعليها أن تنصاع وأن تنقاد ، وأن تنفذ ماتؤمر به .

لم يكن الفرد له رأى فى المشروعات التى تخطط له ، ولم يشترك فى السلطات المحلية إلا بقدر ضئيل تافه محدود ، ولم يكن له صوت مسموع فى المجالس النيابية التى كان يسيطر عليها الإقطاعيون وأعوانهم الذين لهم الكلمة العليا فى الأحزاب أو فى مجالس المديريات أو المتصرفيات أو فى المجالس النيابية . وهذا الوضع من تجاهل الأغلبية والانصراف عنها قد أدى بها إلى الإنعزال فكان لابد من العمل على إنعاشها وعلى السير بها إلى الطريق الذى يفتح لها مجال المشاركة فى الحكم ، والمشاركة فى الرأى وهذا الطريق لن يكون كما قال بحق أرسكين تشيلدرز فى كتابه «الطريق إلى السويس» هو طريق الديمقراطية الغربية إذ أن هناك فروقا جذرية بين مجتمعى الشرق والغرب ، ففى الأخير نالت الجمهرة الشعبية حقوقها السياسية منذ أمد بعيد ، وهى سيدة نفسها ، وتعيش حياة أفضل

وأكرم ، أما المجتمع الشرقى فكما سبق أن أوجزنا اصطلحت عليه عوامل وخطوب أقصته عن السلطة ونخرت فى عظامه ، واستنفدت أكثر طاقاته .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن المجتمع الشرقى كان قد تخلف قرونا فى المجالات والقطاعات المختلفة فكان لابد من أن تقدم الحكومة الشعبية على إجراءات من شأنها القضاء على هذا التخلف فى أقصر وقت مستطاع ، وهذه الإجراءات تتمثل فى التطبيق الإشتراكى من السيطرة على وسائل الإنتاج وتقوية القطاع العام حتى يمكن أن تكون هناك عدالة فى التوزيع ، وحتى يمكن أن تكون زيادة الإنتاج وإقامة عديد من الصناعات ، وزيادة الرقعة المنزرعة ، وكذلك زيادة المحصول ، واستغلال الثروة بأنواعها استغلالا مثمرا فعالا .

إننا نعلم أنه لن تكون حرية إلا إذا توافر الخبز لكل فرد تظله سماء الوطن ، وإذا كان الأمر كذلك فلابد من تحسين الأحوال المعيشية فى المجتمع ، وتحرير المواطن من كل استبداد أو استغلال أو ذل أو خوف أى أن يؤمن المواطن على حاضره وعلى مستقبله وهذا ما تهدف إليه الدولة الاشتراكية وتعمل على تطبيقه ، وفى هذا الوقت يمكن أن يمارس الفرد حقوقه السياسية ، وأن يختار ممثليه الحقيقيين اختيارا حرا . وأن تندفع عجلة التقدم إلى الأمام

وهذه هى الديمقراطية السليمة ، الديمقراطية التى يصبح الفرد فيها حرا ، وأن يصوت فى الانتخاب إلى جانب من يرى فيهم الكفاية والقدرة على الدفاع عن مصالحه وقد عرفنا أن بلادنا قد جربت ألوانا كثيرة من الديمقراطيات ؛ جربت الحزبية وجربت الانتخابات منذ عام ١٩٢٣ . حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وأخفقت الديمقراطية الغربية المجلوبة لأن الشعب فى ذلك الوقت لم تكن له الحرية السياسية ، ولم يتوافر له رغيف الخبز ، ولم يكن الفرد مطمئنا على غده أو حاضره . مع أن البلاد كانت تحكم حكما إقطاعيا ؛ أى حكم القلة المستغلة على حين قد أهدرت مصالح غالبية الشعب وخنقت حقوقها .

لقد كانت ديمقراطية زائفة ، وانتخابات صورية ، وكان لا بد إذن من التفكير فى نوع من الديمقراطية يناسب وضعنا ، وينبع من واقعنا ، ويمثلنا تمثيلا صادقا ، وجربنا أنواعاً فى هذه الفترة الأخيرة جربنا « هيئة التحرير » ، وجربنا « الاتحاد القومى » وكانت نتيجة التجربتين أن تسلل إلى هذه التنظيمات الوصوليون والانتهازيون والرجعيون ، فعوقوا ما كان ينبغى أن ينطلق ، وحاولوا تشويه جمال الحركة ، وعمدوا إلى النيل من قوة التنظيم والتشكيل . وفى ضوء نقدنا الذاتى ودراستنا لهذا الواقع أقمنا « الاتحاد الاشتراكى العربى » بعد مناقشات طويلة ودراسات عميقة

متصلة سواء فى اللجنة التحضيرية أو فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ، وجعلنا أول هدف من أهدافه :

« تحقيق الديمقراطية السليمة ممثلة بالشعب وللشعب ؛ لتكون الثورة بالشعب فى أسلوبها ، وللشعب فى غايتها وأهدافها » .

و « الاتحاد الاشتراكى العربى » يختلف كذلك عن « الاتحاد القومى » فى مدلول اسمه فالأخير يوحى بالمحلية أو الاقليمية أما الاول فهو يشير إلى مفهوم أعمق فهو «اشتراكى» أى أنه يقوم على الشعب العامل ، وعلى « الثورية » لصالح الجماهير ، وهو « عربى » وهذا امتداد له إلى كل بلد عربى ، وإذا كان « الاتحاد الاشتراكى العربى » كما تحدده مقدمته من أنه « الطليعة الاشتراكية التى تقود الجماهير » وتعبر عن إرادتها وتوجه العمل الوطنى ، وتقوم بالرقابة الفعالة على سيره فى خطه السليم فى ظل مبادئ الميثاق » فإن الاتحاد قد أثبت امتداده وأكد اتساع نطاقه ، وإذا كان يقوم فى ظل مبادئ الميثاق فقد أشار الميثاق إلى أنه إذا كانت الجمهورية العربية المتحدة تشعر أن واجبها المؤكد يحتم عليها مساندة كل حركة شعبية وطنية فإن هذه المساندة يجب أن تظل فى إطار المبادئ الأساسية ؛ تاركة مناورات الصراع ذاتة للعناصر المحلية تجمع له الطاقات الوطنية وتدفعه إلى أهدافه وفق التطور المحلى وامكانياته .

على ان الجمهورية العربية المتحدة قد رأت لزاما عليها دفع

المد الثورى فى البلاد العربية وذلك عن طريق « فتح مجال التعاون بين جميع الحركات الوطنية التقدمية فى العالم العربى » وكذلك رأت أنها « مطالبة بأن تتفاعل معها فكريا من أجل التجربة المشتركة » و « فى نفس الوقت لاتستطيع أن تفرض عليها صيغة محددة لصنع التقدم .

وأعلنت بما لا يدع مجالا للشك « أن قيام اتحاد للحركات الشعبية الوطنية التقدمية فى العالم العربى أمر سوف يفرض نفسه على المراحل القادمة من النضال »

والحركات الشعبية أقدر على مرونة الحركة ، وعلى قوة الدفع الثورى أكثر مما يمكن أن تصنعه الحكومات العربية ، فالحكومات العربية قد يكون بينها خلاف قائم على الأطماع أو المنافسات الاسرية أو ما إليها والحكومات العربية قد لاتكون جميعها بدرجة واحدة من التحرر السياسى أو الاقتصادى مما يجعلها على خلاف فى الرأى أو الاتجاه أو التصرف ، وهذا قد بدا واضحا جليا فى طريقة معالجة « الجامعة العربية » للقضايا السياسية بل إنه هو الذى جعل هذه الجامعة فى « مهب الريح » ولاتلبث أن تنتقل من أزمة إلى أزمة ، وكثيرا ما اضطرب أمرها حتى أشفقنا من ان يطاح بها وذلك ما أشار إليه الميثاق فقال :

« إن الشعوب تريد آملها كاملا »

والجامعة العربية - بحكم كونها جامعة للحكومات - لا تقدر أن تصل إلى أبعد من الممكن ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الجامعة العربية قد تكون مرحلة من مراحل القومية العربية وانعكاسا لتفكير بعض القادة العرب فى وقت ضعف الدعوة إلى القومية العربية ، أما اليوم فإن الجامعة العربية لا تعبر التعبير الصادق عن آمال الشعوب العربية التى اعتنقت مبدأ « الوحدة العربية » واخذت تعمل له بكل طاقاتها . ولم يعد يجرؤ عربى حتى الواغل فى رجعيته على النيل من « الوحدة العربية » أو القول صراحة « بالإقليمية »

وقد كان أرسكين تشايلدرز أمينا صادقا حين ذكر فى مناسبة إعلان الوحدة بين مصر وسورية « أعلن فى الرابع من فبراير عام ١٩٥٨ فى كل من القاهرة ودمشق عن قيام أول وحدة فعلية بين دولتين عربيتين ذواتى سيادة وقد إستقبل بعاصفة ضخمة من الحماسة الأصيلة عند جماهير العرب فى طول الشرق الأوسط وعرضه [١] .

إن هذا القول يمثل مدى مايعلقه العرب من آمال كبار على تحقيق الوحدة الفعلية فى الوطن العربى بأسره . وهذا المدى العميق

(١) الطريق الى السويس ترجمة خيرى حماد نشر مجموعة « كتب سياسية » ص ٣٢٠

هو الذى حدا بهذا الكاتب العربى أن يعلن إيمانه بالوحدة العربية قائلا « إن وحدة هذه الملايين من العرب قادمة حتما ، ولكنها قد تتأخر بعض الشىء ، وقد لا تكون فى شكل دولة جامدة مركزية الحكم تمتد من المحيط إلى الخليج . ولكن اليوم الذى سيعثر فيه العرب على الواقع السياسى والدستورى لحلمهم ولقوميتهم « التى لاترسم حدودها على الأرض بل فى القلوب والأرواح » قادم حتما ولاريب أن أمام العرب مهمة شاقة ، وعملا مجهدا وتفكيرا مضنيا وإصلاحا يجب أن يتحقق قبل أن يتحقق الحلم » [1] .

---

(١) المصدر السابق ص ٣٦٢

فهرس



مطابع الدار القومية

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

تليفون ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٢
٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤

لجنة اخترنا للطالب

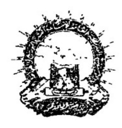
عاطف البرقوقي : رئيس اللجنة

محمـــــد عطا : مقرر اللجنة

محمود محمود

الدكتور حسين النجار — أعضاء

علي الجمبلاطي



مطابع الدار القومية

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

تليفون ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٢
٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤

العدد ٨٩ — الثمن ٤ قروش